بنفسك من هذا الجبل ، فإنه إن قدر لك السلامة تسلم .

فقال عيسى عليه السلام : يا ملعون إن لله عز وجل أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه عز وجل .

ـ وروي أن سليمان عليه السلام بعث إلى مارد من مردة الجنِّ فأُتي به ، فلما كان على باب سليمان أخذ عوداً فذرعه بذراعه ورمى به وراء الحائط ، فوقع بين يدي سليمان ، فقال : ما هذا ؟ فأخبروه بما فعل المارد ، قال : أتدرون ما أراد ؟ قالوا : لا . قال : يقول اصنع ما شئت فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض .

* * *

مع الإمام الشافعي :

قال الإمام الشافعي رحمه الله مرَّة : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة ، ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، وما تقرب إلى الله تعالى بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم .

وكان التزامه بالسنن إلى حدٍّ عجيب ، لذلك كان يقول في أواخر حياته :

ما كذبت قط ولا حلفت بالله تعالى صادقاً أو كاذباً ، وما تركت غسل الجمعة في برد ولا سفر ولا غيره ، وما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها من ساعتي .

أما فلسفته في الحياة فنأخذها من أقواله :

ما فزعتُ من الفقر قط ، وطلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد .

ومن شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة ، ومن غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها ، ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع .

وخير الدنيا والآخرة في خمس خصال : غنى النفس ، وكفّ الأذى ، وكسب الحلال ، ولباس التقوى ، والثقة بالله تعالى على كل حال .

ومن أحبّ أن يفتح الله قلبه ، أو ينوّره فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه ، واجتناب المعاصي ، ويكون له خبيئة فيما بينه وبين الله تعالى من عمل ـ وفي رواية ـ : فعليه بالخلوة ، وقلّة الأكل ، وترك مخالطة السفهاء ، وبغض أهل العلم ، الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب .

ويحدثنا عن العلاقات الاجتماعية ، وعن السلوك مع الناس فيقول :

لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل ، فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل .

وقال : سياسة الناس أشدُّ من سياسة الدواب .

وقال : للمروءة أربعة أركان : حسن الخلق ، والسخاء ، والتواضع ، والنسك .

وقال : لا يكمل الرجال إلا بأربع : بالديانة ، والأمانة ، والصيانة ، والرزانة .

وقال : من صدق في إخوة أخيه قَبِلَ عللهُ ، وسدَّ خلله ، وغفر زلله .

أما علامة الصديق : فهي أن يكون لصديق صديقه صديقاً .

* * *